حكاية العصفور الشاعر

للمرحلة العمرية من (١٠-١٢) سنة

إعداد
شاكر صبري

العصفور وهو صغير

وقف العصفور الصغير على الغصن الجميل في الصباح الباكر وهو يغرد للشمس وللحياة الجميلة الحلوة وقد بدأت فيه نوازع الطيران والحرية مع أنه لم يزل صغير السن .. لم يتعلم الطيران بعد ، ويلتف حوله إخوته الثلاثة من العصافير . جاءت أمه من رحلتها ومعها الحبوب الجميلة وهم يستقبلونها بسعادة ونشوة قالت لهم .. كيف أصبحتم يا أحبابي ؟ فوقف العصفور وهو يترنح على الغصن يهز ذيله من فرط إحساسه بالجمال وباليوم البهيج وقد جاء الربيع وصفت السماء وجلس على أيكه وهو يقول بعض الأشعار الجميلة .

ضحكت أمه فَرِحةً بطفلها الشاعر الصغير وقالت كيف تعلمت يا شمس الشعر ؟ فيرد بصوت هادئ .. الكون الجميل يا أمي والبيت السعيد هو الذى حرك مشاعري .. قالت ولماذا إخوتك لا يجيدون الشعر ؟ فيقول .. لقد يسر الله فى نفس كل واحد منا شيئاً لم يلهمه فى نفس الآخرين .فهذا أخى بدر يحب الغناء والطرب وإن له أوقاتاً كثيرة نجده فيها يغنى وربما ساعدته فى التغريد وهذه صباح تحب الإنشاد والطرب فبين الحين والآخر أجدها تصعد بين الأغصان وتنشد مع قريناتها وربما فاقتهم مع أنها لم تتعلم الطيران بعد وهذا (مسك الختام) بارع فى صنع الأعشاش أجده كل يوم يحوم حول العش يحاول أن يفكه ويعيد بناءه وأنا أراقبه جيداً . قالت أمه احذر على أخيك فهو لم يتعلم الطيران بعد . ثم قالت : هيا لكى أكمل إطعام إخوتك فلقد شدنى حديثك .

وقف العصفور متحيراً مما قالته أمه وظلت هى تطعم الصغار وهم ما بين مغرد ومنهمك فى تناول الطعام .. قال شمس فى نفسه لماذا خلقنا نحن معشر الطيور ؟ أليست لنا مبادئ أو أهداف أو إمبراطوريات مثل الإنسان ؟ ثم قال .. إن أجمل شئ فى الحياة أن يكون لك هدف ..تعيش [illegible] لأجله ..

جلست الأم تستريح [illegible] بداية عشها فى الصباح وفجأة حضر الأب وهو يلهث

واكون سعيداً به —

كانما أصابه شئ قد بلّل العرق ريشه وفى صوته رعشة وخوف وهو يحمل فى منقاره بعضا من حبيبات القمح وعلى جناحيه بعض من قشور التبن ، سأله الجميع فى ذهول ماذا أصابك ؟ نظر إليهم وهو يلتقط أنفاسه وظل يلهث ، قال كنت أجمع القمح من حقل بعيد وقد اجتمعت العصافير فرحانة بالحقل فالمنظر جميل والقمح ذهبى وكثير والتبن حول القمح يساعد على القفز والاستجمام ، وفجأة ومن بعيد شد صاحب الحقل خيطاً من بعيد فوقعت علينا شبكة وباتت العصافير حبيسة فى الشبكة ومن حاول الهرب تعلقت رجله فى الشبكة رد الجميع وكيف استطعت الهرب فقال .. انتهزت فرصة وجود ثقب فى الشبكة فجريت نحوه وظللت أوسّع فيه ثم هربت قبل أن يأتى صاحب الحقل . قال الجميع : فى نفس واحد الحمد لله على سلامتك .

ثم قال الأب وعندما حاولت الطيران وكنت متعباً اصطدمت بعمود كهربائى فكدتُ أن أفقد وعى ولكنى والحمد لله استطعت الطيران بعيداً .

ومرت الأيام وجاءت الأم وقالت للأولاد لقد كبرتم وها هو قد تكون ريشكم ويمكن لكم أن تتعلموا الطيران من غد باذن الله .

العصفور يتعلم الطيران ١٢

أقبلت الشمس بوجهها الطيب وأدبر الليل وكأن هناك من يوقظ العصافير ، بدأت العصافير يومها بالنشيد ، ظلوا يقولون باسم الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . أصبحنا وأصبح الملك لله ، رددت العصافير النشيد خلف أمهم ، ثم قالت لهم ان هذا الدعاء تقوله جميع العصافير فى الصباح كل يوم شكراً لله تعالى سألت صباح أمها وقالت أين الله يأماه ؟ قالت الله موجود فى كل مكان ولا يمكن لأحد أن يراه ، قالت صباح وهل هو قوى ؟ قالت الأم إن الله قادر على كل شئ ولا أحد يستطيع أن يدركه أو يعرف عنه إلا أنه الخالق القادر . تسأل لماذا خلقنا الله يا أمى ؟ فتقول إن الله خلقنا جميعاً لكى نعبده فهو ليس بحاجة إلينا ولكن ليكافئنا على أعمالنا فى الآخرة ليعاقب الظالم منا ، قال الأب :

قال الأب لا تقولوا يا لسوء الحظ ولكن قولوا
يا لحسن الحظ فكل [illegible]

إن دورنا فى الحياة هو العبادة وأن نعيش فى تعاون بيننا وبين الآخرين . قال شمس وما الفرق بين الكائنات يا أبى ؟ هل نحن مثل الإنسان عند الله ؟

قال الأب حقا إن الله يجازى الجميع على أعمالهم ولكن الإنسان هو الخليفة فى الأرض فيكون حسابه أعظم على قدر عمله .

ينطلق لسان مسك قائلا انظروا إن الأرض التى حولنا قد غمرتها المياه فلن نستطيع الطيران غدا . صاحت العصافير الصغيرة يا لسوء الحظ .

ظلّ الصغار الأربعة يتحاورون عن يومهم السعيد الذى سيتعلمون فيه الطيران وظلوا يتحاورون عن طموحاتهم وأخيلتهم . قال بدر أحب أن تكون لى حدائق كثيرة أملكها ولا يسكن فيها أحد غير العصافير الوديعة وأطرد الوحوش وأصير ملكاً وأبنى أعشاشاً من الحرير وأعيش مع الطيور فى سلام . قالت صباح أنت خيالى جداً . قال مسك أحب أن تكون لى زوجة طيبة تسمع أوامرى وتنفذ رغباتى وأن تصير العصافير أحبابى ولا يمسسنى أحد بأذى .

قالت صباح : إننى أحب الموسيقى وأتمنى أن أعيش وسط عالم من الموسيقى والغناء . قال شمس وهو يهتز على الغصن بفخر إننى أحب أن أحيا حياة الحرية والجمال والتنقل والتمتع بالحياة .

قالت صباح إن هذه الحياة التي تحب أن تحياها لمن العسير على مثلنا الطيور أن يعيشها إنني أحب أن يكون لى عصافير صغيرة أربيها وأحنو عليها وأتعب في سبيل تربيتها وأطعمها بقدر جهدي فما أعظم الحياة إذا كانت مليئة بالمتاعب والكفاح .

لحظة خطر

عاد الأبوان يوماً ورجل الأم مكسورة فوقفت على رجلها الأخرى وسألها الجميع ماذا أصابك ؟ فقالت وهى تكتم أناتها كنا نجمع الحبوب وكان هناك طفل صغير يمشى فى الحقل ولكنه كان متجها نحونا وقد لمسنا فيه البراءة فكان ينظر إلينا فى صمت وتأمل وأعجبنا به ولكن سرعان ما اقترب منا ثم رمانا

بالحجارة التي أصابت رجلي ولـولا رعاية الله ثم مساعدة أبيكم لافترسني هذا الطفل . قال الأب الحمد لله أولاً وأخيراً ، وقضى الجميع وقت العصر فى حالة من الاستجمام ، وقد وقف شمس على الغصن وهو يتأمل فى ساعة الغروب وجمالها .

نادت الأم شمس قالت هيا يا بنى لقد هلل القمر وظهر الشفق فهيا لتنام فإن النوم المبكر خير لنا من السهر .

أقبل الصبح البرئ وانطوت لوعة الظلام وبدأت العصافير الصغيرة فى التأهب للطيران وهم فرحون بهذا العهد الجديد ، وقد أخذ الأب شمس وأخوه مسك وأخذت الأم بدر وصباح . وقف شمس على غصن يستريح وأبوه ينظر إليه وهو يقول : ما أجمل أن أصبح طائراً كبيراً أعيش كما أشاء وكيفما أشاء تأتى صباح والأم وهى سعيدة لأنها تعلمت الطيران فى فترة قصيرة وأخذت تتفاخر على أخواتها وقالت إنني أفضل منكم لأنني تعلمت الطيران بسرعة فيقول لها شمس لا تغترى فإنك لم تزالى صغيرة بعد فلو تركتك أمك لما تعلمت الطيران ولكنها سرعان ما قالت أنا أفضل منكم فقالوا لها إذن فأظهرى لنا قدرتك على الطيران ، وحاولت صباح الطيران وحدها ولكنها سرعان ما وقعت على الأرض وأخذت تصيح والعصافير يضحكون عليها .

ذهب شمس مع أمه يوماً وهى تعلمه الطيران فمر على عش نحل ذهبت الأم إليه ثم امتصت من براويز الشمع بعضاً من العسل هى وشمس ، قال شمس لماذا يا أمى تأكلين العسل قالت إن عسل النحل فيه فوائد عظيمة وهو نعمة من الله ، ولكن سرعان ما لسعتها نحلة هى وشمس صرخت الأم وانطلقت الأم تأتى بقطعة من الطين ووضعتها على مكان اللسعة وهدأ شمس وفعل شمس كذلك مع أمه .

سأل شمس الأم إن النحل غريب جداً يا أمى فقالت إن مملكة النحل أعظم مملكة فى الحيوانات إنها تدافع عن نفسها حتى ولو أدى ذلك إلى موت النحلة بعد اللسع ومع ذلك فإن فى لسعتها فوائد كثيرة إنها تشفى من أمراض الروماتيزم

وكثير من أمراض المناعة وكل الحيوانات تحب أن ينالها قسط من اللسعات خاصة عند مرضهم ولكن احذر يا بني من اللسعات الكثيرة فقد تؤدى الى الموت . ثم يقضيان وقتا جميلاً على الأغصان .

ينظر شمس الى الحقول وهو يتأمل ثم يقول أنظرى يا أماه .
(الذئب يطارد الغزالة) قالت الأم لا تبالى يا بنى إنها سنة الحياة إن القوى يأكل الضعيف فالذئب والغنم والثعلب والثعبان والقط والفار والأسد والغزالة كلهم أعداء يفترس القوى الضعيف

بينما يهم الذئب بالانصراف تنهال عليه الكلاب من كل جانب يريدون الفتك به . يهرب الذئب ولكن تجرى خلفه الكلاب بسرعة وهى تنبح فتأتى كل الكلاب التى تسمع النباح فيقول شمس إنها تفهم إشاراتها جيداً وتنطلق الكلاب خلف الذئب صاح شمس إنه منظر غريب يا أمى • • • .

وينصرف شمس ليرفرف ويطير . يأتى كلب ويجلس تحت الشجرة التى يقفون عليها ثم تأتى شاة أخرى وتلعب مع الكلب والعصفور يتعجب فقالت له الأم لا تتعجب فإن الكلب أليف وليس له عدو إلا الذئب . يسألها شمس هل الكلب يحب الإنسان ؟ قالت إنه أليف وهو أقرب الحيوانات إلى الإنسان و الإنسان يحبه ويربيه عنده فى بيته . إن الكلب أمين جداً وهو وفى لصاحبه مهما كان . فيقول شمس إنني أحب أن أصاحب هذا الكلب فيرفرف أمامه ثم ينزل ويقف على ظهره والكلب فرح بالعصفور وبجانبه الشاة وهو يلعب معه والكلب يرحب بأى صديق جديد . قال شمس : الحمد لله ما أجمل الصداقة فهى كنز لا يفنى .تفرح الأم بابنها وهو مع أصدقائه الجدد وهو يمرح معهم ثم تسمح بالانصراف ولكن شمس متعلق بأصدقائه . ثم يرجعان بعدُ إلى العش .

لحظة الوداع

تجتمع الأسرة على الغصن فى الصباح الباكر وقد لفظت الدنيا ظلمتها وبكر الصبح بأنسامه . قال الأب الآن يا أولادي أصبح كل واحد منكم ماهر فى

الطيران ويستطيع أن يستقل بنفسه ولكن ارجو ألا تغامروا حتى تتقنوا الطيران جيداً ، يقف بدر فى فرح وسرور وهو يختال بقوته ويحاول الطيران ولكنه سرعان ما يقع على الأرض فيصرخ ويلتف الأبوان حوله ثم يعيدانه إلى العش وهو حزين ، ثم يقف بدر على فرع صغير يحاول الطيران بنفسه .

تطير الأم نحوه ، وتجذبه بشدة إلى العش وقالت له أنت لم تزل صغيراً فلا تتعجل على الانطلاق والحرية .

لم يقتنع بدر بما قاله الأبوان فحاول الطيران بعيداً عندما خرج الأبوان للبحث عن الغذاء وقد نصحه إخوته بعدم الطيران ولكنه قال لهم اننى مثلكم خرجت من بيضة متشابهة وفى سن واحد ولنا أبوان وحيدان فلا أحب أن أسمع نصيحتكم وإننى أحب الانطلاق وانطلق بدر فى الحقل وهو يطير بمهارة ثم حط على غصن قريب ولكن سرعان ما سمع الأخوة صوت بندقية وجدوا أخوهم بدر ملقى جريحا على الأرض ثم صاح بدر وصرخ واجتمعت العصافير من كل جانب لكى تنقذه وسرعان ما أنقذه عصفور يسكن على غصن بجوارهم .

نظر إليه الإخوة وقالوا له لقد تركت جماعتنا حيث كان الشر ينتظرك ،ثم قال شمس نصحناه فلم يقبل كلامنا ورد النصح وانطلق بعيداً جاءَ الأبوانِ وقد حزنا كثيراً على إبنهم المصاب وأخذا يمسحان جراحه وقد صنعا له عشا خاصا لكى يعالجاته فيه .

قالت صباح لأمها لعن الله الإنسان لأنه لم يراعى أسرتنا ولم يراعى مشاعرنا نحن العصافير وكل ذلك من أجل أن يستمتع بلحمنا ،قالت الأم يابنيتى لا تتعجبى إن الإنسان ليس مثلنا إنه ربما قتل أخاه من أُجل متعته فما بالك بباقى الكائنات ! أما نحن فلا يجمعنا إلا الحب والغناء .

قال شمس ولكن لماذا يقتنى الإنسان بعض الطيور ؟ قالت الأم إنه يقتنيها من أجل متْعته أيضا فربما استفاد بلحمها مثل البط والأوز وربما استمتع بمنظرها الجميل مثل الطاووس أو بصوتها العذب مثل الكناريا والببغاء .

قال شمش : لوكنت مكان البلابل لما غردت لكي يسمعني هذا الإنسان قالت الأم ولكنها يابني سنة الحياة إن كل منا يخرج ما أعطاه الله له من مواهب ولا يهمه إن كان الذي يسمعه الإنسان أو غيره فإننا لو تركنا الشدو مثلا لكان أهون علينا أن نموت ثم تركته وذهبت إلى أخيه بدر .

قالت صباح لأبيها وقد سمعت حديث شمس مع أمه هل الإنسان يفهم لغة الطيور؟ قال الأب إنه سؤال جميل فالإنسان لا يفهم لغة غيره من الحيوانات إنهم يفهمون لغة أنفسهم فقط ثم إن الحيوانات تفهم لغة بعضها ولكن على قدر جنسها فالطيور الأليفة تفهم بعضها جيداً مثل الحمام واليمام والسمان والطيور المفترسة تفهم لغة أنفسها لكنها لا تفهم لغة الطيور الأليفة مثلنا فلو فهمونا لما افترسونا ولأشفقوا علينا

ثم أنه توجد لغة خاصة بين الطيور المتفاهمة يعرفونها من مجرد أصواتها غير أن هناك لغة خاصة بكل فئة لا تفهمها بقية الفئات قال شمس ولكني أرى الإنسان يصاحب الصقر قال الأب حقا يابني لقد ذكرتني بقصة سيدنا سليمان فهو الإنسان الوحيد الذي فهم لغة الطير وسوف أحكي لكم قصة الهدهد.

بدأت السماء تمطر فتجمعت الأسرة كلها في العش بعيداً عن المطر ووضعوا أوراق الأشجار حول العش ثم بدأ الأب يحكي القصة فقال كان سيدنا سليمان يجمع الطير في صفوف كل يوم ثم ينظر إليهم ويأمرهم بما يريد لأن الله أعطاه قوة التحكم في الطيور وذات يوم نظر إلى الصفوف فوجد الهدهد غير موجود في مكانه **فسأل** الصقر عنه لأن الصقر من أسرع الطيور وأكثرها حدة في النظر وقدرة على التحليق ورأى الصقر الهدهد من بعيد وأسرع إليه وأخبره بأن سيدنا سليمان سوف يعذبه على تأخيره بأن ينتف ريشه ريشة ريشة أو يذبحه أو يخبره الهدهد بعذر واقعي فذهب الهدهد **إلى سيدنا** سليمان وأخبره **بأنه رأى** امرأة اسمها بلقيس ملكة على قومها وهي تدعوهم إلى عبادة الشمس ولها عرش عظيم .

وأراد سيدنا سليمان أن يختبر صدق كلام الهدهد فأرسله بخطاب إلى ملكة سبأ يدعوهم فيه إلى الإسلام وأمر الهدهد أن يلقى الخطاب ثم ينظر من بعيد بما يجيبون ، قال شمس إنها قصة جميلة يا والدي ثم وضع الأوراق فوق رأسه حتى لا يصيبه المطر قال الأب وهنا وجدت بلقيس الخطاب فجمعت قومها واستشارتهم وقالت بأنها تخاف من الملوك فهم يحبون التدمير والخسارة للبلدان الأخرى وأشارت عليهم بأن ترسل إلى سيدنا سليمان هدية حتى لا يهم بغزوهم ، وأبلغ الهدهد سيدنا سليمان بما سمع فأمر سيدنا سليمان الجن باحضار عرشها ولما قدمت إليه بلقيس ورأت العرش ورأت قوة سيدنا سليمان وجمال قصره علمت أنه نبي وأسلمت لله رب العالمين .

ثم قال : وقد التف بالقش إن سيدنا سليمان هو الوحيد الذي علمنا الإيمان بالله ونحن ننقل قصته إلى أبنائنا كما علمها لنا آباؤنا فهو صاحب الفضل علينا في الإسلام .

ثم أن هناك سيدنا داود أبو سيدنا سليمان الذي كانت الطيور تسبح معه . . .

بدأ بدر يتماثل للشفاء وقد هم الأولاد بتعلم الطيران فقد اكتملت قوتهم وهم ينتظرون ذلك اليوم باشتياق شديد وبدءوا يومهم بنشاط وذكر لله ثم انطلقوا جميعاً مرة واحدة الى أعلى والأبوان ينظران إليهما بسعادة ويقولون فى رعاية الله ، حلّق الأربعة في الجو وبدءوا يلعبون الألعاب الهوائية وسرعان ما وقعوا على الأرض من شدة السباق ، قال مسك لهم سوف نتسابق على التحليق إلى أعلى وانطلقوا جميعاً للتحليق ولكن عادوا جميعا دون أن يصلوا إلى مكان عالى فقد أحسوا بضيق فى التنفس ، قال شمس لماذا الصقر يستطيع التحليق ونحن لا نستطيع ؟ قالت صباح إنه أقوى منا ولكل واحد منا قدرات لا يستطيع أن يتجاوزها .

انطلق الأربعة وطاروا جميعاً إلى حقل جميل وانهالوا على القمح يأكلون فى فرحة وسرور ثم حطوا على غصن جميل فى سعادة غامرة ، قال شمس لصباح

.. ما أجمل الأغصان والنسيم .. والخير الوفير ..
يتأمل شمس حوله وهو نشوان من حلاوة المنظر وبداية إحساسه بتعلم الطيران ، ينظر حوله فيجد صندوقا صغيرا مصنوعا من الحديد على هيئة الشبكة فيحاول إخوته الدخول فيه ولكن شمس يتأمل جيدا ولا يحاول الدخول مع أن الصندوق ملئ بالحبوب الجميلة والباعثة على الاشتهاء . دخل مسك القفص مع مجموعة العصافير من فتحة صغيرة وأكلوا كثيرا ولكن سرعان ما صرخ مسك أنقذوني . أنقذوني فانطلقت العصافير ترفرف حول الصندوق وعلموا أنها مصيدة . نظر شمس إلى الصندوق بتفحص فوجد فيه بابا كبيرا عليه قطعة خشب تسده فعلم أنها هي الوسيلة الوحيدة لفتح الباب فاجتمع هو وإخوته وطاروا حوله وبدءوا يشدون في قطعة الخشب ، واجتمعت حولهم العصافير حتى استطاعوا شد الباب وانطلق مسك فرحا مسرورا وهو يغرد وهم يغردون ، والتفوا حوله في سرور ...

لتقدر المستطاع ورغم جراحها

ثم قالت صباح وهى ترفرف حول الغصن وقد قطفت وردة وأعطتها لمسك وقالت : تمتع بالحياة يا صديقى وانطلق الجميع يصيحون حول الغصون ويغردون ثم حطوا ثانية على الغصن وبدءوا يمتصون رحيق الأزهار ، قال شمس : بعض الأناشيد الجميلة .. التى أعجبت إخوته من حوله .
ضحك الجميع وقهقه شمس وظلوا طوال اليوم فى بهجة وانتعاش ثم سأل شمس إخوته كيف تعلمتم الشعر قالوا من الطبيعة وما يقال من القلب يصل إلى القلب . ثم انطلق الاخوة الأربعة . إلى حديقة جميلة مليئة بالأزهار وأخذوا يرفرفون حولها قال شمس لقد تمنيت أن نعود إلى أبوينا لكى نطمئن عليهما ونعلمهما بأحوالنا قال مسك ولكن يجب أن نقضى فترة فى هذا المكان الجميل حتى يصبح ملكنا وحدنا ، نظرت صباح إلى الأزهار وقالت ولكن لماذا توجد أزهار جميلة فى بعض الأشجار بينما لا توجد فى البعض الآخر . قال شمس إنه سؤال جميل جدا و لقد سمعت ما سأقوله لكى من أبى إن كل نبات يحتوى

بطبيعته على عضو التكاثر وهو الأزهار ولكن قد تكون الأزهار كبيرة أو تكون صغيرة ويختلف لونها ورائحتها تبعاً للمنطقة التى توجد فيها وربما وجدت بعض الأزهار الجميلة الرائحة الجذابة المنظر لكى يستمتع بها بقية الكائنات وقد يتداوى بها الإنسان والحيوان فإن أبى عندما يصاب بالمغص يتناول بعض أوراق النعناع أو أزهار البابونج..

طارت صباح حول الأزهار ولكنها سرعان ما صرخت نظر الجميع إليها فقالت لقد أصابتنى شوكة من شجرة الورد ، لعن الله الشوك قال شمس إن لكل شئ خلقه الله حكمة وعبرة فإن الأشواك تحمى الورود من عبث بقية الحيوانات وإلا لكانت هيّنة نظر بدر الى وردة وحاول قطفها ولكن صاح شمس فيه وقال لا تقطفها فإنما خلقت للاستمتاع بها لا لكى تقطع أو تموت .

عـــودة إلـــى العـــش

انطلقت العصافير إلى العش القديم كى يروا أبويهم وهم فى شوق ولهفة واستقبلهم أبواهم بالترحاب والفرح الشديد وقضوا معهم يوماً جميلاً . قالت الأم كيف أحوالكم وكيف ستقضون الفترات القادمة قال مسك سوف أرحل الى جزيرة العجائب إنها تحتوى على خير وفير ولا يوجد فيها إلا الطيور الجميلة فليس هناك ثعبان ولا صقر ولا فئران إن هذه الجزيرة لا يستطيع العيش فيها إلا الطيور الوديعة فأى كائن آخر يحاول أن يشرب منها يموت بعد قليل حتى الإنسان اذا شرب منها مات ولا يعيش فيها إلا الطيور المغردة ، قالت الأم وأين هذه الجزيرة يا مسك قال إنها فى أقصى الشمال وسوف أذهب إليها مع مجموعة من أصدقائى من البلابل وسوف نرحل بعد أسبوع ، اتجهت الأم الى صباح وقالت وأين تذهبين يا صباح قالت إننى أحب الإستقرار وسوف أعيش مع البلابل فأستمتع بصوتهم وهم يستمتعون بتنوعى ما أجمل الحياة فى الحدائق الجميلة والحركات الصادرة من الطبيعة قالت الأم : ولكن يا بنيتى لا تنسى دورك فى الحياة وأما أنت يا بدر فقال إننى أحب حياة الحرية والقوة فسوف

أبحث عن مكان أفرض فيه قوّتي وأبسط فيه سلطاني قالت الام إنني أخاف عليك يا بني من طيشك فإن عاقبة حب القوة وخيمة .

وأما أنت يا شمس فقال إنني ليس لي وطن معين وليس لي بلدة محدّدة ولكني سأسير حتى أبحث عن الأصدقاء الأوفياء وأعيش مع من أحب فقالت الأم أعانك الله يا بني ثم قالت غداً إن شاء الله سوف ينطلق كل واحد منكم الى سبيله . وقف شمس بعيداً وأخذ يحس بلوعة الفراق .

نظرت إليه الأم وقالت يا بني انها سنة الحياة ويجب أن نرضى بها ، وبدأت تقول لهم خذوا حذركم من أعدائكم واهتموا بأنفسكم وأقبل اليوم الموعود فتعانقوا جميعاً ثم طاروا إلى اتجاهات مختلفة .

العصفور والحياة الجديدة

حط شمس على غصن في وسط البلدة بإحدى الحدائق فقد أرهقه السير فهو يحب التطلع ، جلس على حذر وهو لا يعرف المكان ولا يعرف له أصدقاء وهنا وجد مجموعة من العصافير يمرحون دنا منهم شمس على حذر ولكنهم سرعان ما استقبلوه بترحاب مع أنه كان خائفاً منهم وقضى معهم أوقاتاً جميلة يتنقلون بين الأغصان ويستمتعون بالحديقة المليئة بالخيرات وشمس يهتم بالنظر إلى الإنسان وأحواله ولكنه مل من هذه الفرقة لأنهم لا يحبون الخير لبعضهم ويحقدون على أنفسهم فحاول أن يتركهم ثم ذهب بعيداً عنهم وظل كثيراً يعاني من الوحدة ، وجلس على غصن ذات مرة وقال :

يا سبحان الله ماذا يمكن أن أصنع وحدي

وظل العصفور ينتقل من غصن إلى غصن ومن مكان إلى مكان وقد أحس بالوحدة وبعناء المكان وفجأة تقابل مع عصفورة تقاربه في السن نشيطة مثله دنا منها شمس وسار معها في الحقول يأكلان ويمرحان وبعدها علم شمس أنها عصفورة فاضلة تحب الأخلاق ولا تحب الخيانة ولا الكذب وعرض عليها شمس الزواج وقابلته بالقبول وقد أحبت في شمس الأخلاق الحميدة ،

قال شمس لها : بعد أن قضينا وقتا في دراسة بعضنا .. أريد أن نكون شريكين في الحياة فقالت العصفورة : ما أجمل هذه المشاركة ..

وانطلق العصفوران يستمتعان بالحياة وهما الآن في موسم التزاوج حيث بداية شهر الربيع وتحس العصفورة بحاجتها الى وضع البيض فتبدأ هى وشمس في جمع القش ويفكران في مكان مناسب لبناء العش ويتخذان من قصر في زاوية البلدة محطة لهما ويظلان يبحثان عن مكان لصنع العش ويجدان مكاناً مناسباً ويبدأن في صناعته ، يعجب شمس بهذا المكان الجميل الملئ بالأزهار وأشجار الفاكهة وتضع العصفورة البيض وتظل راقدة عليه ثلاثة أسابيع وشمس يقوم على رعايتها ويأتى إليها بالغذاء كل يوم حتى يفقس البيض عن أربع عصافير ويمر شهر ثم شهر حتى يتعلم الأولاد الطيران ويتأهبون لترك العش وهنا يقول شمس .

علمتنى قبل أمي أن أسير وأن أطير .

وأنا الآن أربى . مثلها ابنى الصغير.

من هنا صرت سعيداً حيث أنى كالأمير ، ويعلم الأولاد الطيران ويودعهم الأبوان ويحس شمس بالمرض ويرقد فى العش وتقوم العصفورة على راحته وتحضر له بعض أوراق الليمون والنعناع وحبوب الخردل وحبة البركة ويستمر شمس فى المرض لمدة أسبوعين ثم يتماثل للشفاء ويقضى فترة يتنقل بين الأغصان وخاصة أشجار الفاكهة حتى يتماثل للشفاء وبينما العصفوران يجنسان فى العش يسمعان رجلاً يتكلم ويقول غداً سوف نقوم بالهجوم المضاد ، سوف أرسل قوات المدفعية والطيران فى المقدمة ويليهم قوة المشاة وأرجو الحذر الشديد لقد أبلغتنا أفراد المخابرات أن العدو الآن فى حالة ضعف شديد وسوف ننتصر عليهم إن شاء الله ، ورفرف العصفوران ليعرفا ذلك الفرد فوجداه يلبس زياً عسكرياً وعلى رأسه علامة النسر وبعض أغصان الزيتون وسألت عبير شمس لماذا هذه الإشارات فأجابها إنه قائد كبير فى الجيش ،

وقالت ولماذا الحرب ؟ فقال إننا نحارب اليهود فهم شر كبير وهم لا يحبون الخير لأى إنسان فهم دائما ما يبدأون فى تدمير جيرانهم وإن شاء الله سوف يكون النصر لمصر . ويسمعان فى اليوم التالي يقول لزميله الحمد لله لقد دمرنا هذه الكتيبة عن آخرها وسوف يكون لنا النصر بإذن الله ثم يقول إن موشى ديان يقول فى الصحف بأن هناك قوات أخرى سوف تدمر قواتنا فيرد إنهم يريدون أن يحطموا أعصابنا قال شمس : إن اليهود وهم شر عباد الله يسكنون فى أرض الله المقدسة لعنهم الله . إن بيت المقدس يا زميلتى هو مهبط الأديان ففيه كان مولد سيدنا داود وسليمان وسيدنا زكريا ويحيى وعيسى وموسى وغيرهم الكثير ومع ذلك فهو الآن فى أيدى هؤلاء . إن هدفهم الرئيسى هو الغزو المستمر لقد احتلوا مصر وسوريا وهضبة الجولان وهم يطمعون فى المزيد ولكن أبناء مصر لن يتركوهم . لقد دمرنا خط برليف الذى يدعون أنه أعظم خط دفاعى فى العالم والمصريون الآن يستمرون فى التقدم وسوف يكتب الله النصر للمصريين قالت . ومن أين حصلت على هذه المعلومات قال كنت أسمعها من الأفراد الذين يجلسون فى البلكونة فأنصت إليهم . قالت . وما رأيك أن نذهب نحن الى المعركة لنشاهدها بأنفسنا فإنى مشتاقة جداً الى رؤية المصريين قال شمس إن حياتنا مليئة بالمخاطر ثم نذهب في النهاية الى حرب مليئة بالمدافع والقنابل إننى خائف جدا من هذه الحرب وأخذت تلح عليه حتى وافق وقال ولكنى لا أعرف المكان قالت سوف نركب على ظهر أى عربة متجهة إلى الميدان فإنها لابد متجهة إليه . .

<u>العصفوران يشاهدان المعركة</u>

وأخذا يحلقان فى الجو حتى وجدا عربة مدرعة فجلسا فى مكان بعيد عن الجنود وسمعا بعض الجنود يقول الحمد لله عبرنا قناة السويس على خير فإن أنابيب النابالم ربما حرقتنا لو تنبه لهجومنا اليهود . وينزل الأفراد فى منطقة حربية ويفزع شمس من صوت المدافع ويسمعون قائد المجموعة يقول ليذهب

كل منكم إلى دبابته ويتجه سبعة منهم الى دبابة ويبدءون فى السير فى الميدان ويطير العصفوران على هذه الدبابة ويستمر الجنود فى الدبابة يدمرون فى العدو ويدمرون فى دباباتهم وهنا نزلت قنبلة فجأة أمام هذه الدبابة فدمرت مقدمتها واضطر الجنود الى النزول ومعهم أسلحتهم اليدوية وأخذوا يطلقونها على الأعداء وهم فى حالة من القوة والنشاط وحلق العصفوران حول بعضهما ، إنه يحمل مدفعاً صغيراً يسمى الأرباجية وأخذ يدمر فى دبابات العدو حتى دمر وحده ما يقرب من عشرين دبابة وأعجب به العصفوران وظلوا يحومون حوله وفجأة وقعت قنبلة أمامه فوقع جريحا وتنفس العصفوران قدراً كبيراً من الغازات فوقعا على الأرض فاقدين الوعى وبعد فترة وجدا أحد الجنود يحمل الجندى الجريح الى عربة الإسعاف وهو لا يتكلم وحاول العصفوران أن يرجعا إلى العش لأنهما أحسا بتعب شديد من الدخان الناتج من القنبلة وانطلق لسانهما فى نفس واحد لقد فقدنا اتزاننا ولن نستطيع العودة الى مكاننا الأصلى ،قالت العصفورة : وماذا سنصنع وكيف نستطيع الإقامة فى هذا المكان قال شمس : إن الذى علينا أن نفعله الآن هو أن نستمر فى الطيران حتى نجد مكاناً هادئاً ، واستمرا فى الطيران حتى تعبا فحطا على غصن شجرة وفجأة وجدا سبعة من الجنود لا يوجد معهم إلا الرشاشات وبعض الأسلحة الصغيرة وسمعاهما يقولون لقد فقدنا الاتصال بيننا وبين قواتنا وأصبح من المستحيل الحصول على أى إمداد ، ثم قال الجنود لقائدهم أشر علينا فقال فليذهب كل واحد منكم فى اتجاه ولا تستعملوا الأسلحة فربما وجدنا العدو وسوف تتجمعون حين أشير إليكم من أعلى الجبل ثم تفرقوا وفجأة سمع العصفوران صوت رشاش فانطلق تجاهه الجنود وانطلق خلفهم العصفوران فوجدوا أن أحدهم قد اصطاد ثورا ضخما ثم انقض عليه الجنود وحمدوا الله وقالوا لنبدأ سيرنا وهناك وجدوا كتيبةً من الدبابات المعادية تتجه ناحية المنطقة ، قال قائدهم دعوها حتى تنحصر بين الجبلين ثم يضرب اثنان منكم فى المقدمة

واثنان فى المؤخرة واثنــان فـى الوسـط وسـأكون مـع المقدمـة وانتظر الجميـع إشارة البدء فأطلقوا مدافعهم فى وقت واحـد والعصفوران يقفـان بجوار القـائد وتوقفت حركة الدبابات وظـن جنـود العدو بـأن هنـاك قـوة كبيرة فخرجـوا مـن الدبابات مستسلمين وأسرهم الجنود السبعة وكـانوا سبعين جنديـاً من العدو . هنالك قال شمس سبحان الله كادوا أن يموتوا ولكن الله جعلهم سبباً مـن أسباب النصر .

" ولينصرن الله مـن ينصره " واقترب العصفوران مـن أحد الجنـود الأسرى فسمعاه يقول لقد وجدت أشكالاً بيضـاً تعلـو رؤوسـهم . قـال شـمس مـا هـذه الأشكال؟ .. ثم قال لست أدرى . وانطـلق العصفـوران لا يدريـان اتجاهـهما ولكنهما يسيران بعيداً عن الحرب وهنـاك بحثـا عن طعام فوجدا منطقـة فيها بعض القبائل البدوية فانطلقا تجاههـا فوجدا بعض الجنـود الإسرائيليين تدخل عندهم ويأكلون معهم قالا إن هؤلاء خونة ولكن سرعان ما قـال شـمس فربمـا اضطرتهم الظروف إلى معاملة الأعداء معاملـة حسنة ونظر العصفوران إلـى إناء ملئ بالحبوب فالتهما منه الكثير حتى شبعا وخزنا جزءاً منه ثم طارا بعيداً . ظل العصفوران يطيران ويستريحا كلما تعبا حتى وصلا إلـى منطقـة مليئـة بأشجار الزيتون فحطا على مئذنة مسجد ومن كثرة التعب ناما بدون أى إدراك . استيقظ العصفوران وهما يحسان بنشاط وحيويـة وذلك بعد آذان الفجر ولـم يستطيعا النوم بعد ذلك فإن الجو شاعري والمصلون كثيرون فاضطرا إلـى الطيران حول المسجد ثم تركا منطقة المسجد واتجها إلى حديقة إحدى المنازل مليئة بالأشجار الكريمة من الزيتون والبرتقال . قال شـمس إن شـجرة الزيتون هى الشجرة المباركة التى ذكرت فى القرآن واعتقـد أننـا فـى فلسطين وأن هـذا المسجد هو المسجد الأقصى . إن جميـع الكائنـات تتمنـى أن تعيـش فـى هـذه المنطقة الطاهرة وأن تزور هذا المسجد ولكن لا يعرف مكانه إلا القليل . الحمـد لله الذى وفقنا إلى هذا المكان .

واستمر العصفوران فى الحديقة على أفرع الزيتون يشربان من ماء العيون
ويستمتعان بالفواكه والزيتون وبدأ موسم التزاوج ورقدت العصفورة على
البيض ليفقس عن أربعة عصافير صغيرة يرعاها الأبوان حتى تكبر ثم ينطلقوا
كل إلى سبيله ويحاول العصفوران التعرف أكثر على العصافير التى تسكن فى
المنطقة فيجدا أن لها صفاتا وطباعا مختلفة بعضها حسن وبعضها سيئ قال
شمس سبحان الله إن لكل منطقة طباعها وعاداتها وتقاليدها قالت العصفورة إن
متوسط عمرنا يكون عامين وإنه قد قرب على الانتهاء وخاصة بعد الفقسة
الثانية وأحس شمس بالتعب وهنالك ظن أنه سيموت وظل فترة طويلة يعانى
من المرض وبدون قصد كان يأكل من ثمار الزيتون فوجد نفسه قد شفى
فصاح الحمد لله لقد شفيت بسبب ثمار الزيتون فإن لكل منطقة أمراضها وقد
وهبها الله أساليب العلاج المختلفة ، وانطلق سعيداً بالشفاء وظل العصفوران
يحومان فى المنطقة يستمتعان بجمالها وبأشجارها وحدائقها واستمعا يوماً إلى
صاحب الحديقة وهو يقول لزوجته لقد هزمنا المصريون ونحن شعب الله
المختار ، قالت العصفورة أحقاً هم شعب الله المختار ؟ قال شمس إنهم يظنون
ذلك وهذا جنون العظمة عند اليهود ولذلك هم يدمرون كل من حولهم ويبذلون
أقصى ما يستطيعون فى إيذائهم ، وتنقل العصفوران بين الورود والأشجار .
قال شمس هؤلاء الصعاليك يسكنون أطهر البقاع ولا يرضون عن حالهم .

العصفوران فى بيت المقدس

قال شمس نودّ أن نقيم فى المسجد فترة حتى تنالنا بركته وانطلقا يبحثان عنه
حتى وجدا جماعة من المصلين يطوفون حول مسجد فعرفوه ودخلوه واستقرا
على ركن من أركانه ، قال شمس إن للمسجد ثلاثة أبواب باب للمسلمين الذى
نحن فيه وباب للنصارى (المسيحيين) وباب لليهود ، قالت العصفورة وهل
يوجد ديانات كثيرة بين البشر ؟ قال حقا مع أننا لنا دين واحد إلا أن هناك بين
بنى الإنسان ديانات شتى ومذاهب مختلفة وهذه ربما أدت إلى الصراعات

والاختلافات بين بنى الإنسان وظل العصفوران يقيمان فى ناحية المسلمين شهرا كاملا يشهدان معهم الصلوات الخمس العصر والظهر والمغرب والعشاء ويستيقظان مبكرا كل يوم على صلاة الفجر وهما يستمتعان بما يرونه من أشكال بيضاء تحوم حول المصلين ومع ذلك لم يعرفا ما هى ؟ ثم ذهبا إلى ناحية النصارى فوجداهم يجتمعون فى يوم واحد فى المسجد وهو يوم الأحد ويدخلون المسجد بالأحذية وكل صلاتهم عبارة عن إشارات بالأيدى وألفاظ لا يفهمون معناها ، قال شمس حقا إن المسلمين تعلوهم الملائكة . ثم انطلقا ناحية اليهود فوجدا هناك أشكالا غريبة ثم وجدا هناك حائطا يبكى حوله اليهود يسمونه حائط المبكى ، قالت العصفورة : هيا نسمع لأحدهم وهو يبكى واقتربا منه بدون أن يراهما فسمعاه يقول وهو يبكى اللهم اغفر لى ذنوبى واغفر لى ما قدمت فى حق الآخرين ومع أنى أعلم أننى غنى فلا أعلم ما الذى دفعنى إلى سرقة أموال الشركة وأعدك ربى أننى سأحاول ألا أظلم أخى أو أحاول أن أجعله يخسر فى تجارته وسوف أتركه فى حاله .

قال شمس لعن الله اليهود كما لعنهم الله فى كتابه " كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه " ثم انطلقا خارج المسجد وبينما هما يسيران وجدا ديكا يفزع ويجرى فانطلقا خلفه وسارا معه حتى هدأ روعه فرحب بهما وسألاه ماالذى جعلك تجرى هكذا ثم تختبئ بين الأشجار هكذا بعيداً عن السكان ، قال : إننى فررت من صاحبى لأنه كان يريد أن يذبحنى كى تأكلنى زوجته الثمينة .

انطلق الجميع فى المنطقة كى يستمتعوا بمنظر المصليين وظلوا قريبين من المسجد يؤدون مع المصلين صلاتهم ويرددون الآذان خلف المؤذن ، قال الديك إن هذه المنطقة على ما ترون منطقة آمنة لأن فيها المسجد الأقصى غير أن اليهود يحاولون دائما قتل الفلسطينيين بالأسلحة والبنادق والفلسطينييون لا يملكون إلا أن يقذفوهم بالحجارة ولا توجد إلا فئة قليلة تسمى جماعة حماس هى التى تستعمل الأسلحة ضدهم والله فى عونهم وفجأة عند صلاة الفجر

استيقظ الجميع على صوت رشاش طار العصفوران وانطلق الديك خلفهم داخل المسجد الإبراهيمى فوجدوا أن هناك يهوديا يحمل رشاشا ويطلقه على المصلين وهم سجود ومع ذلك لم ينهض أحد منهم وظلوا سجوداً و هنالك صاح الديك انظروا إلى هذه الملائكة ذات الأشكال البيض وهم يرفرفون حولهم لقد أصبحوا شهداء" وسوف يدخلون الجنة لأنهم ماتوا وهم يصلون أما ذلك اليهودي الملعون الخسيس فإن جزاءه النار تظل العصفورة تبكى من ذلك المنظر وشمس متأثر بهذه الوقاحة ويقول لابد أن نغادر هذا المكان فلن أستطيع أن انظر إلى ذلك المكان ثانياً غير أنهما سمعا مجموعة من الشباب فى المسجد يتشاورون فى سرية ويقولون سوف نأخذ بثأرهم بإذن الله ، قال شمس : إنها جماعة حماس كما قال صديقنا الديك وتأهبوا جميعاً لبذل أرواحهم ضد اليهود على ما يسمونه بالعمليات الانتحارية سألا الديك فقال إنه يوجد بعض الشباب الذين يلفون جسمهم بالمتفجرات ثم يلقون بأنفسهم وسط الجنود اليهود حتى يموتوا جميعاً إنهم شهداء فدائيون ، وانطلق الثلاثة ليسكنوا في منطقة تجمعهم فوجدوا شجرة" كثيفة قصيرة مظللة بجوار حائط مرتفع فاتخذوها مسكناً وظلوا يجهزون لأنفسهم مكاناً يجمعهم الثلاثة . على أحد الأفرع الغليظة المظللة وقد ظللوها بالقش وبعض أوراق الأشجار من الزيتون والبرتقال ، وفجأة سمع الثلاثة صوت قنبلة فقال الديك إنها جماعة حماس يقاتلون الإسرائيليين ويقومون بالعمليات الانتحارية من أجل رفع كلمة الحق ، انطلق لسان شمس وهو يقول : لا يضيع الحق طالما كان هناك من يطالب به .

ثم صمت الجميع فترة ثم قال شمس : اللهم أنصر المسلمين فى كل مكان ..

ثم سمعوا صوت موسيقى من المذياع ، قال الديك : ما أجمل الموسيقى إنها تبعث فى النفس الطمأنينة والاستقرار إن البعض يعالج بها ، قالت العصفورة الحمد لله الذى جعل حياتنا كلها أنغاماً وموسيقى ، قال شمس هل تعلمون كيف اخترع الإنسان الموسيقى ؟ قال الديك كيف ؟ فقال إنه تعلمها من أصوات

الحيوانات من نهيق الحمار وصهيل الخيل وتغريد البلابل وحفيف الأشجار وطنين النحل ومواء القطط وصياح الديكة .

رحلة جديدة

ثم أقبل الليل فانطلق الجميع فى سكون ثم فى نوم عميق واستيقظوا على ذكر الله غير أن الديك قال وهو يصيح سبحانك اللهم وبحمدك نشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك قال شمس إنك تقول كلاما غير كلامنا ، قال إن لكل طائفة من الطيور أذكاراً يستقبلون بها الصباح وفجأة صاح الديك ، قال شمس ولكن لماذا تصيح بدون ميعاد محدد ، قال لأننى أرى الملائكة التى هى أجسام بيضاء ولا يراها أحد فى الكائنات إلا الديكة ، قال شمس: سبحان الله وما فائدة هذه الملائكة قال هي أجسام من النور خلقها الله لتأدية وظائف معينة فهناك ملائكة مسئولة عن الرزق وهناك ملائكة مسئولة عن كتابة الأعمال ويوم القيامة تعرض الأعمال ... فيأخذ الله الحق للمظلوم ثم هناك ملائكة لحفظ المخلوقات ثم هناك ملائكة لقبض الأرواح وقائدهم عزرائيل قال شمس وهل ترى أرواح المخلوقات قال كل الحيوانات الكبيرة تراها ولو رآها الإنسان لصعق (أى مات) والكلب هو الحيوان الوحيد الذي يرى ملائكة قبض الأرواح وملائكة العذاب ولذلك فإننى أخاف عندما أسمع عواءه واستعيذ بالله من عوائه أما الحمار فإنه ينهق عندما يرى الشياطين ، صمت الجميع فترة ، قال شمس إنك حقا ملائكى فإن صوتك جميل وأحب أن أستيقظ عليه كل يوم ، فجأة ظل الديك يصيح ، قالت العصفورة شكراً لك يا صديقى العزيز . قال الديك كفى مجاملة فأنتم أهل التغريد والشدو وذات يوم بدأ الديك يشعر بالتعب والقشعريرة ولكنه مع ذلك كان يسير معهما يبحث عن الطعام حتى اشتد مرضه فرقد على الفرع ولم يستطع التحرك وظل العصفوران يحضران له الزيتون والعنب وبعض أوراق المشمش وحبة البركة وظل راقدا أسبوعين ومع ذلك لم يستطع الحركة ثانية مثل الحال الأول ولكنه استطاع السير وعلم أن حالته شديدة

ومن حالة متأخرة من المرض

التأثير وهناك أشار عليهم وقال إننى أعلم أن هناك عيناً سحرية إن شربت منها فربما شفيت ، قال شمس : كيف عرفت مكانها . قال إن كل الديوك على الأرض تعرف مكانــها ولكنــها لا تستطيع الحضور لأن أصحابــها يذبحونــها ثم قال إن هناك بعض الحيوانات تعرف مكانها ولكنها الموجودة فى هذه المنطقة ، قال شمس : هل هى قريبة ؟ قال الديك إننى أعرف مكانها عن طريـق علامـة أراهـا فى السماء ، وانطلق الثلاثة يبحثون عن العين ويطير العصفوران ليأتيا للديك بالحبوب ، فجأة أحست العصفورة بالإعياء ، فقال الديك لا تخافى فسوف تشفينَ إن شاء الله وظلت راقدة على ظهر الديك وهما سائران وشمس يقوم بإحضار الطعام لهما ، سار الجميع فى تحفز ونشاط وفجأة نزل مطر شديد فذهبوا يستظلون تحت شجرة فوجدوا هناك كلباً صغيراً يجلس وحيداً فسألوه ما الذى جعلك تجلس وحدك فى هذا الجو الممطر فقال إننى هربت من صاحبي لأنه كان يؤذيني وكان يقسو على ثم سألهم ما الذى أتى بكم إلى هنا ؟ فقال شمس إن أخانا الديك مريض وسوف نذهب به إلى العين السحرية كى يشفى ، قال الكلب سوف آتــى معكم لأحرسكم فإن المنطقة مليئة بالوحوش والذئاب ، وانطلق الأربعة يبحثون عن العين وظلوا يسيرون كثيراً حتى تعبوا ثم أرادوا أن يستريحوا ولكنهم كانوا يخافون من المنطقة ومن وجود الثعابين والثعالب والحيوانات المفترسة ولكنهم وجدوا على مقربة منهم غزالة صغيرة تبكى وهى تجلس بجوار شجرة الأراك فاتجهوا نحوها فخافت منهم ولكنها سرعان ما أمنت جانبهم فسألوها ما الذي جعلك تبكى ، قالت إنني فقدت القطيع الذى فيه أولادى . ومع ذلك فإننى هنا منذ يومين ولم أجد دليلاً وإننى مستعدة للسير معكم إذا علمت إلى أين تتجهون ، انطلق الجميع وراء الديك وقد حملته الغزالة على ظهرها وأحس الجميع بالجوع ولكن المكان كان مقفراً (لا يوجد به زرع ولا ماء) وظلوا يبحثون عن الماء ، قال شمس سوف أحلق فى الجو لأعلمكم بأى مكان فيه ماء ، وفجأةً صاح شمس هيا فإنه يوجد بالقرب من هنا عين

بها ماء فانطلق الجميع بسرعة إلى العين يشربون منها وكان حولها بعض الحشائش أكلت الغزالة ولم يأكل الباقي ، قال الكلب سبحان الله إن لكل كائن طعامه الخاص به ولا يستطيع أن يتعدى إلى طعام غيره . وظلوا يسيرون وقد ارتوَوا وفجأة وجدوا بعض الحبوب ملقاة أسفل بعض الأشجار التي تحمل أشواكا فانهال عليها الديك والعصفوران يأكلان منها حتى شبعوا ولكن الكلب لم يزل جائعاً واستمروا في السير ، قال الكلب وهو يلهث لقد ذكرتموني بقصة أصحاب الكهف التي تعرفها كل الكلاب ، قالوا ما هي ، قال تحكى عن مجموعة من الفتيان كانوا يعملون فى حاشية الملك في قديم الزمن وكان ملكاً ظالماً يسمى دقلديانوس فآمنوا بالله سراً وأعلموا أنفسهم بإيمانهم ولكنهم كانوا يخافون ولما اطمأنوا إلى أنفسهم خافوا من الظلم فاتفقوا على الهروب بدينهم لأن الملك لو علم بذلك فسوف يقتلهم وأثناء سيرهم وجدوا كلباً يسمى قطمير فاصطحبوه معهم ثم ساروا حتى وجدوا كهفاً فدخلوا فيه ليستريحوا وليختبئوا من الملك وألقى الله عليهم النوم فظلوا فى الكهف ثلاثمائة سنة وتسعة نائمين وكان شكلهم مرعباً كان الذي يدخل عليهم يظنهم مستيقظين وكان الله يقلبهم على اليمين مرةً وعلى اليسار مرة حتى لا تذبل أجسامهم ، قالت العصفورة ولكن لماذا هذه المدة ؟ قال الكلب إنها من أجل تعليمهم بالبعث حيث أن أهل المنطقة كانوا يكفرون بالبعث .

ثم ذهب أحدهم ليشترى بضاعةً من السوق وكانت أظافره وشعره كبيراً فرأى أحد التجار فى هذا العصر معه قطعة نقود من عصور قديمة فظنّه سرقها من الملك فذهب به إلى الملك الجديد الذى كان مؤمناً وكان يطلب من الله أن يريه علامة على البعث فلما رأى الفتى أقسم عليه بأن يقص عليه قصته فحكاها له فذهب معه إلى الكهف فرآهم بعينه وهنالك أماتهم الله كلهم مرة واحدة فبنى الملك مسجداً على هذا الكهف تقديساً لهم وهذا الكهف يوجد قريباً من هنا ولعله الذى أراه على ذلك الجبل فى سيناء ، انطلق الجميع يسيرون فى عجالة

ويتمنون أن يصلوا سريعاً الى تلك العين فقد أرهقهم الغبار الذى يغطى الجو والريح الباردة وقلة الطعام ولكنهم وجدوا منطقة مليئة بالخيرات من حبوب وخبز وفاكهة فصاحوا جميعاً الحمد لله وأكلوا جميعاً منها بنهم شديد ، قال الكلب الآن أكلت وأستطيع أن أصوم لمدة شهرين مثل بقية الكلاب ، ثم انطلقوا وهم يمرحون ويستمتعون باللعب ثم وجدوا منطقة مليئةً بالأشجار الجميلة فاستراحوا بها وظلوا يمرحون حتى أرهقهم التعب فناموا ، ولم يستيقظوا إلا على نهيق الحمار فقاموا وذكروا دعاءهم المعهود ، قال شمس ما أنكر صوت الحمار ؟ قالت الغزالة ؟إنه حيوان أليف يشتهر بالصبر ولكنه ينهق بذلك الصوت المفزع لأنه يرى الشياطين ، قالت عبير وما هى الشياطين ؟ قال الكلب هيا لنذهب إلى الحمار ونسأله وانطلقوا إلى الحمار فلما رآهم رفع ذيله وأشار بأذنيه مرحباً بهم ثم سألهم عن سبب تجمعهم فقصوا عليه القصة فقال إنى معكم فسأله شمس عن الشياطين فقال إنها أجسام لا يراها أحد من المخلوقات غيرنا نحن الحمير لها أشكال غريبة مخيفة وظيفتها الأساسية هى إيذاء الإنسان وفعل الشر وهم يمكن أن يتشكلوا بأشكال الحيوانات وغالباً فى القطط والكلاب ولكنى أعرف الكلب الحقيقى من الشيطان الذى جعل نفسه كلباً ، قال شمس فى سرعة وهل يؤذوننا ؟ قال الحمار لا إنهم لا يؤذون إلا الإنسان لأنه عدوهم فإن إبليس زعيمهم أُقسم أمام الله بأنه سوف يغوى الناس جميعاً إلى يوم القيامة ، قال شمس : سبحان الله إن الإنسان يتسلط على كل الكائنات ويسلط الله عليه الشياطين . قال الحمار ومع ذلك فإن هناك أناساً يحميهم الله منهم وهم المؤمنون بالله الذين يعملون بما أمر الله ثم إن الله أعطاهم سلاحا قوياً هو القرآن وهو الشئ الوحيد الذى يؤذى الشيطان وربما أحرقه .

المفاجأة الكبرى

استمر الجميع فى السير حتى وصلوا الى جبل مرتفع مليئ بالصخور فهموا بالاستراحة . قالت العصفورة هل بقى كثير على العين ؟ قال الديك فى مكر هيا

نصعد إلى الجبل كي نستريح ، فانطلقوا جميعا إلى أعلى الجبل ، قال شمس : ما أروعه ؟! إن فيه صخورا كثيرة مختلفة الألوان الأبيض ، الاحمر ، الأخضر ، وغيره وهناك الرمال الذهبية إنه بحق جبل عجيب لم أرى مثله قط .

تفرقوا شيئاً ما ، وفجأة سمعوا صراخ الديك فانطلقوا جميعا نحوه فإذا ثعلب يحاول أن يهجم عليه فقفز الكلب نحوه وانطلق العصفوران ينقران وجهه حتى فزع الثعلب وفر هاربا وحمد الجميع الله على سلامة الديك ونظر الديك إلى السماء وصاح مرات عديدة ولم يفهم أحد معنى صياحه ثم التف حول الجبل وهو ينظر بتمعن كأنه حيران فسألته الغزالة لماذا تحتار ؟ فقال لا شئ لا شئ حتى يأس من الالتفاف فجلس وحده بعيداً يفكر انطلقت الغزالة لأعلى الجبل لكي تبحث عن القطيع فربما رأته ولكنها لم تجد أحداً وبينما هى عائدة انغمست رجلها فى عين مائية صغيرة فصرخت أنقذوني أنقذوني وانطلق الجميع نحوها لكى يزيحوا الصخر عن رجلها ثم صرخ الديك ياه .. ياه .. إنها العين السحرية التى قلت لكم عليها ففرح الجميع وظلوا يصيحون فالحمار ينهق ، والعصفوران يغردان وهما فى غاية السعادة يشربون منها ويغسلون أجسادهم وهم لا يصدقون ما هم فيه من نعمة وظن الحمار بأن كثرة الشرب سوف تجعله قويا أكثر من قوته الحقيقية وسوف تطيل عمره ولكن الديك أخبره بأنه تكفى جرعة واحدة وأنها تطيل عمر الواحد منهم إلى ضعف عمره ، قال العصفوران إذاً سوف يكون عمرنا أربعة أعوام ، قال الكلب وعمرى سيصبح أربعين عاما ، قال الديك بشرط ألا تشربوا من ماء زمزم فإن هذه العين عين سحرية كانت عين طبيعية تشفى من أمراض الروماتيزم ولكن قام ساحر منذ زمن بعيد بجعلها مسحورة ثم قال يجب ألا نشرب منها أكثر من اللازم حتى نتركها لغيرنا يستفيد منها وحتى لا نلوثها ثم قام الديك يصيح وهو يقفز فى الهواء لأنه أحس بالشفاء ، ثم قاموا جميعا بإزاحة الصخرة على جوانبها وشربوا كثيراً ثم

انصرفوا وهم يطيرون فرحا وسرورا . وظل الجميع فى المنطقة يمرحون
ويستمتعون بالجبل الجميل ثم هموا بالانصراف وهم فى غاية القوة والنشاط ثم
رجعوا من نفس الطريق . قالت الغزالة إننى أود أن أبحث عن القطيع الذى
كنت فيه إن فيه أولادى وبحثوا معها والعصفوران يحلقان فى الجو ويرجعان
إلى المجموعة ولكن لا يجدان أى أخبار وفجأة وجد العصفوران القطيع فأخبرا
الغزالة فقالت كم عددهم ؟ قالا ثلاثين فانطلقت بعد أن ودعتهم إليه وهى فرحة
. ثم سرعان ما وجد الحمار مكاناً مليئا بالعشب وبجواره عين مائية فقال هذا
مرعى خصب وخاصة أنه وجد مجموعة من الحمر الوحشية تعيش فى المنطقة
فودعهم ثم انصرف . وانطلقت المجموعة تقصد مكانها الأول وخاصة أن الكلب
يحن إلى مكانه ولا يستطيع تركه أو نسيانه ولكن الديك وجد مجموعة من
الأوز والبط وحولهم حدائق وحقول مليئة بالحبوب بالقرب من البلدة فاتجه
إليها الديك ودعا العصفوران ليعيشا معه ولكن شمس قال إننى لا أحب أن أظل
فى مكان واحد وهنا ودعهم الديك ثم انصرفوا ودخلوا البلدة ثانية ووجد الكلب
مجموعة من أصحابه فذهب معهم وودعه العصفوران وانطلقا على مئذنة
المسجد الذى بدءا منه السير فوجدا حمامة كانت تستريح من عناء الطريق
، تستمتع برؤية المسجد المقدس وكانت تصدر أصواتا حزينة حيث أنها تحن
إلى بلدتها التى تربت فيها فقرب منها العصفوران وسألاها من أين أنت فقالت
بأنها من مكة وقد تربت فى مصر فهى من الحمام الزاجل الذى يستخدم فى
المراسلات ، قال شمس : ولكن كيف تتعلمين ذلك ؟ قالت إننى أعرف المكان
الذى عشت فيه مهما حدث ومهما تغيرت ملامحه وأتحمل السفر طيرانا
لمسافات طويلة وأحمل الرسائل دائما ما بين جناحى أو بين رجلى ، قالوا إلى
أين أنت ذاهبة الآن ؟ قالت إلى مكة ، البلد الحرام لأقضى فيها بقية عمرى
وخاصةً أن صاحبى قد مات ولكنى سأذهب قبلها إلى المدينة المنورة . قالت
العصفورة إننا نحب أن نأتى معك . وقضوا بقية اليوم على المئذنة ثم انطلقوا

فى الصباح مع آذان الفجر وطاروا ولكن الحمامة حلقت إلى أعلى ولم يستطع العصفور ان ذلك فاضطرت إلى أن تطير فى نفس المستوى وانطلق الثلاثة يتحدثون عن ذكرياتهم الخاصة وهم ينظرون إلى أسفل فيجدون الأشجار والصحارى والعيون المائية التى تجذب أنظارهم ..

الرحلة الأخيرة

وانطلقوا إلى المدينة المنورة وكانوا يستريحون كلما أجهدهم التعب ثم ينامون ليلاً ولكن الحمامة كانت تستيقظ أحياناً كى تحرسهم ومروا على مسجد قباء قالت الحمامة وقد حطت على المنذنة إن هذا المسجد أول مسجد فى الإسلام بناه النبى صلى الله عليه وسلم هو وأبو بكر عندما كانا مهاجرين من مكة إلى المدينة لنشر الدين الإسلامى ثم دخلا المدينة واستقبلهما أهلها بالنشيد المعروف " طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع

جئت شرفت المدينة مرحباً يا خير داع

ثم قال إن سيدنا محمد (ص)هو أفضل الخلق وأفضل الأنبياء عند الله قال شمس : وكيف عرفت هذه القصة ، قالت كنت أعلم هذا عن طريق السماع ، ثم اتجهوا إلى المدينة ومكثوا بها على منذنة المسجد النبوي وهنا وجدوا قبر النبى صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين ، نظر شمس إلى داخل المسجد ووجد منطقة مزخرفة مليئة بالحلى قالت الحمامة إنها الروضة الشريفة التى قال عنها صلى الله عليه وسلم مابين منبرى وحجرى روضة من رياض الجنة ثم انطلقوا ثانية الى المنذنة ليستمتعوا بصوت المؤذن ويرددوا خلفه الآذان قالت الحمامة إن النبى صلى الله علي وسلم بدأ دعوته فى المدينة وأقام بها حتى فتح الله عليه مكة سنة ثمان من الهجرة فأقام بمكة بقية عمره ، ومكثوا بالمدينة ثلاثة أيام ثم اتجهوا إلى مكة واستمروا فى الطريق المقفر يومين

كـامليين مـن الطـيران وهنـالك حطت الحمامـة بقـرب غـار ، قـال شـمس لمـاذا اتجهت إلى هذا المكان ؟ فربما وجدت فيه أفعى . قالت إن الغـار هـو غـار ثـور الذى اختبأ فيه النبى صلى الله عليه وسلم هـو وأبـو بكـر حينمـا كانـا مـهاجرين وقد رقدت حمامة على باب الغار ووضعت البيض فلما قدم المشركون ووجدوها قالوا بأنه لو دخل الغار لما رقدت الحمامة وقد نسج العنكبوت خيطه ثم قالت إن كل الحمام الزاجل يعرف قصة هذا الغار ، ومكثـوا يومـين ثـم اتجـهوا الـى مكـة وحطوا على غار آخر فى أعلى الجبل قالت الحمامـة إنـه غـار حـراء الـذى كـان يتعبد فيه النبى صلى الله عليه وسلم ونزل الوحى عليه فى هذا الغار ثم اتجـهت إلى منزل فى أقصى البلد لا يسكنه أحد ولكنه مرتفع وهنا وقفت الحمامـة عليـه وظلت تنوح ، قالت العصفورة لماذا تبكى ؟ قالت هذا مَنزلى الذي تربيت فيه قد مات صاحبي فتمنيت أن أزوره قبل أن أموت وهنا بدأت تشعر الحمامة بثقل فى جسمها وبدأت تشتكى مـن الألـم ، وظلـوا فـترة طويلـة بـهذه المنطقـة وكـانوا يطوفون حول مكة وكانت تشير لهم الحمامة فتقول هـذه كـان مكانـها دار النبى صلى الله عليه وسلم وأخرى فتقول هذه دار الإمام على وهكذا .. ثم وقفوا علـى الدار حتى يودعوها ثم قال شمس للحمامة : ما أجمل الحنين إلى الديار !! وهنا بكت الحمامة وقد نزل الدمع من عينيـها ثـم قـالت عليكـم أن تتـأهبوا فقـد قـرب موسم الحج والمسلمون يـأتون مـن كـل بقـاع الأرض فقـد اقـترب موسـم الحـج والمسلمون يأتون من كل صوب وحدب لكى يحجوا ويزوروا بيت الله الحرام . وأقبل موسم الحج واتجهوا إلى جبل مَلئ بالناس .قالت الحمامة إن هـذا الجبـل هو جبل عرفات وهو أول شئ من مناسك الحج فمـن تـرك الوقـوف عليـه فقـد بطل حجه وسمى بعرفات لأن آدم وحواء قد التقيا عليه حينما خرجـا مـن الجنـة لأنهما عصوا أمر الله تعالى حينما أكلا من الشجرة وذلك حينما أغواهما إبليـس اللعين بالأكل منها فتفرقا فى الأرض ثم التقيا علـى هـذا الجبـل ، صمـت الثلاثـة وهم يسمعون الحجاج وهم يقولون " لبيك اللهم لبيك .لبيك لا شـريك لـك لبيـك

بإن الحمد والنعمة لك والملك " ثم نظر الثلاثة من بعيد إلى بيت الله الحرام ، قال شمس : أهذا المسجد الحرام ؟ قالت الحمامة نعم إنه أفضل بقعة في الأرض (وأول مسجد لله في أرضه) بناه ابراهيم وإسماعيل عليهما السلام وقد وضع الله قواعده وأظهرها لإبراهيم ليبنيها هو وابنه وأمره أن يؤذن في الناس .. ثم يقولون " لبيك اللهم لبيك .." ويأتي اليوم ليؤذن إبراهيم ويأتي الناس من كل فج وصوب ، .

قالت الحمامة هذا اليوم أشبه بيوم الحشر الذى يخرج الله الناس من القبور يجمعهم في مكان واحدٍ للحساب من أول آدم وحواء إلى أن تقوم الساعة، قالت شمس إنهم كثيرون جداً ، قالت الحمامة ولكنّ الله قادرٌ على جمعهم ، وانتهى يوم عرفة وذهب الحجاج في اليوم الثاني وبدءوا في الصباح وصلّوا العيد والثلاثة ينظرون من بعيد فرأوا خروفاً يجلس في مكان وحده وهو يبكي فاقتربوا منه وقال شمس للخروف ما يبكيك ؟ قال إنهم سيذبحونني ولأن هذا اليوم هو يوم العيد وهم يسمونه يوم النحر (أى الذبح)، .

فقال شمس: ماذا تعنى بيوم النحر ؟ قال الخروف إنها قصة معروفة للخرفان حيث جعل الله سيدنا إبراهيم الخليل يرى في المنام أنه يذبح ابنه إسماعيل وانطلق ابراهيم ليقول ذلك لابنه ولم يحاول الابن الهرب بل أذعن للذبح وقال : .. إفعل ما تؤمر وهمّ سيدنا إبراهيم أن يفعل وإذا بجبريل يَنزل عليه كبشاً ثميناً وقال قد صدّقت الرؤيا ونفذّت أمر الله وأبدلك الله كبشاً تذبحه ومن هنا صار المسلمون يذبحون في كل عيد كبشاً وأنا الضحية في هذا العام لأصحابي ، قال شمس وقد رأى كبشاً آخراً من بعيد والكبش يجلس بأسفل الشجرة التي يقف عليها أيها الخروف أنت محظوظ لأنك ستموت شهيداً.

ضحك الخروف ،قال حقاً سوف أموت شهيداً ولكن رغماً عني .

و طار الثلاثة فوق الحجاج وبدأت الخطبة وأنصت لها الجميع ورأوا ملائكة في أيديهم أوراق ، قال شمس ماذا يفعلون ؟ قالت الحمامة إنهم يكتبون أسماء

المصلين ثم رأوا الحجاج يرمون الجمرات قالت الحمامة لعلهم يرجمون إبليس
الذى كان يوسوس لسيدنا إبراهيم والسيدة هاجر وابنها إسماعيل فرماه كل
واحدٍ بحجر فصارت سنّة يعمل بها الناس إلى يوم القيامة .
ثم انظروا إلى ابليس يبكى عند الرجم والملائكة تقيده ، رأوا الحجاج من بعيد
يجرُون بين الصفا والمروة ، قالت العصفورة لماذا يجرون ؟ قالت الحمامة
إنهم يسعون بين الصفا والمروة سبع مرات مثلما فعلت السيدة هاجر حينما
كانت تبحث عن الماء وهى في هذاالمكان هي وابنها إسماعيل عليه السلام وهو
صغير فنبع الماء من بين رجليه ولذلك صار الحجاج يفعلون مثلها .
وذهب الناس يطوفون بالكعبة والعصافير خلفهم فرأوا منظراً غريبا ، قال
شمس وهو يقف على طرف زاوية الكعبة إنهم يقبلونَ الحجر فقالت الحمامة
إنه الحجر الأسود وإن تقبيله واجب قالا ولماذا ؟ قالت هكذا أمر النبى (صلى
الله عليه وسلم)، إنه من أحجار الجنة وحاولت العصفورة من اندهاشها
وفرحتها من منظر الحجاج أن تطير ولكنها صاحت أنقذوني ، انطلق شمس
نحوها،قالت الحمامة إنها الكعبة لا يمكن لأي طائر أن يطير فوقها هناك قوة
تصده إنه فى الناحية المقابلة لها فى السماء البيت المعمور، يدخله كل يوم
سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون ثانية حين يخرجون .
وأحست الحمامة بالإعياء الشديد ثم انقلبت على الأرض والعصفوران حولها ،
وذهبا بها بعيداً . قالت الحمامة حقاً إنه بلد الله الآمن إن أحداً لم يمسسنا
بسوء لو كنا فى مكان آخر لما صدّق الإنسان وأخذنا فريسة له وأحست
الحمامة بالظمأ الشديد ولكنها سرعان ما طارت لأعلى المسجد والعصفوران
خلفها لتُلقى نظرة أخيرة على هذه المنطقة المقدسة والحجاج يطوفون يهللون
ويكبرون والعصفوران فرحان بهذا الجو الإيمانى .
وذهبت الحمامة معهما إلى بئر يلتف حوله الناس ويسألها شمس لماذا يلتف
الناس بهذه الكثرة ؟ قالت إن هذه المياه لما شربت له من أراد الشفاء شفته